# تنشئة الطفل عند قدماء المصريين

**دكتورة نبيلة محمد عبد الحليم**

كلية التربية – جامعة الاسكندرية

---

اتجهت الباحثة فى معالجتها لهذا الموضوع إلى التعرض للمراحل الأولى لتكوين الطفل والحرص على الإنجاب . ثم تابعت ذلك بدراسة مراحل الحمل والولادة ، والرضاعة ، ودور الأم الرئيسى فيها . وأخيراً ، ألقت بعض الضوء التاريخى على موضوع تنمية الطفل وتثقيفه وتوجيهه من المصادر المصرية القديمة .

والواقع أن الطفولة هى أولى مراحل الحياة وأحقها بالعناية سواء على مستوى الأسرة أو المجتمع . وتعتبر دراسة تنشئة الطفل والاهتمام به من أهم المقاييس التى يقاس بها تطور المجتمع وتقدمه ، حيث أن الاهتمام بالطفولة هو فى حد ذاته اهتمام بمستقبل المجتمع .

ولا شك أن العناية بالطفولة جزء من الطبيعة البشرية وهى تختلف باختلاف المجتمعات من حيث درجة تطورها الاقتصادى والحضارى والاجتماعى . إن تاريخ البحث فى الطفولة للتعرف على حقائقها والوقوف على مظاهر الرعاية المختلفة يعتبر من الأهمية بمكان حيث يسهم فى التعرف على العوامل والظروف المختلفة التى أحاطت بتنشئة الطفل بطريقة سليمة .

ولقد بدأ الإنسان المصرى القديم يفكر فى أطوار نموه وبداية تكوينه

حينما صور حياة الجنين فى مراحله المبكرة حيث نقرأ فى نشيد(١) أخناتون

«... أنت خالق الجنين فى الأم ،
أنت خالق نطفة الإنسان ،
أنت واهب الحياة للجنين فى رحم أمه ،
وملطفه حتى لا يتكدر فيبكى ،
كيف لا وأنت المربى فى الرحم ،
الذى يعطى نفس الحياة لكل مخلوقاته !

• • •

أنت فاتح فمه
ومعطيه حاجاته ... »

ولقد شغف المصرى القديم بحب الأطفال مما دفعه إلى الحرص على الإنجاب بل والتبكير بالزواج حتى يتمكن من تربية أطفاله قبل أن تتقدم به السن. ويمكن ملاحظة ذلك الاتجاه مما جاء فى نصائح آنى(٢) Ani«... ما أسعد الشخص الذى يكثر أهله ويحييه الناس باحترام بسبب أولاده...» .ونرى مثل ذلك القول فى نصائح بتاح حوتب(٣) Ptah-Hotep«...إذا كنت رجلا...

---

(١) Wilson, J.A., Egyptian Hymns and Prayers, „The Hymn to the Aton", (in) pritchard, J.B., Ancient Near Eastern Texts, Relating to the Old Testament, Princeton, 1969, p. 370.

وجيمس هنرى برستد ، تاريخ مصر من أقدم العصور إلى الفتح الفارسى ، ترجمة حسن كمال وراجعه محمد حسنين الغمراوى ، القاهرة ١٩٢٩ ، ص ص ٢٤٥ – ٢٤٩ .

(٢) Wilson, J.A., Proverbs and Precepts, „The Instruction of Ani", (in) ANET, pp. 420; Lichtheim, M., Ancient Egyptian Literature, Vol. 11, Berkeley, 1976, p. 141.

(٣) Wilson, J.A., Proverbs and Precepts, „The Instruction of the vizier Ptah-Hotep", — (in) ANET, p. 413.

فليكن لك ولد فذلك شيء يسر الإله ..» . ونستطيع القول بأن ذلك ربما يعود إلى طبيعة المجتمع المصرى القديم كمجتمع زراعى يتطلب المزيد من الأيدى العاملة . وعلى ذلك فإن كثرة إنجاب الأولاد كان فى الواقع مصدر رزق للفلاح المصرى القديم . وبالإضافة إلى ذلك ، فإن الأولاد فى تلك المرحلة لم يكونوا عبئاً على ذويهم طالما هم فى سن الطفولة . فقد كانوا يسيرون حفاة الأقدام ، وغالباً ما يخرجون متجردين تماماً من الثياب (١) كما تشير إلى ذلك نقوش الدولة القديمة . ولو أن هذا الأمر يحتمل الشك (٢) علماً بأن النقوش المصرية القديمة أظهرت ملابس أطفال الطبقة الراقية منذ عصر الدولة الوسطى . ومهما كان الأمر فإن هؤلاء الأطفال لم يكلفوا آباءهم سوى القليل من النفقات . وعلى ذلك فربما كانت تلك الأسباب الاقتصادية البحتة من العوامل التى أدت إلى الإكثار من النسل .

ومن أجل مزيد من الرعاية للطفل ، حرص المصريون القدماء على العناية بالأم خلال شهور الحمل . ولقد ظن المصريون فى ذلك الوقت المبكر إلى أن غذاء الجنين وتنفسه إنما يصله عن طريق الأم (٣) . وليس أدل على حرص المصريين على رعاية الحامل وتأمينها مما قد تتعرض له من أخطار أثناء مرحلة الحمل من تخصيصهم لإلهة خاصة تقوم بحماية الحوامل اسمها تاوُرت(٤) كما كانت العادة المتبعة أن تقوم المرأة خلال شهور حملها بلبس التمائم لتبعد عنها روح الشر . ولعل اهتمام المصريين القدماء بالتعرف على نوع

---

(١) بيير مونتيه ، الحياة اليومية فى مصر فى عهد الرعامسة ، ترجمة عزيز مرقس منصور ، مراجعة عبد الحميد الدواخلى ، القاهرة ١٩٦٥ ، ص ٧٥ .

(٢) نجيب ميخائيل ابراهيم ، مصر والشرق الأدنى القديم ، الحضارة المصرية ، الجزء الرابع ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٩ .

(٣) Abdel-Halim, N., The Problem of the Royal Placenta in Ancient Egypt, Reprint from the Book of 50*th* Anniversary of Archaeological Studies in Cairo University, part III, Special Issue from the Journal of Faculty of Archaeology, Cairo, 1978, p. 84.

(٤) نجيب ميخائيل ابراهيم ، المرجع السابق ، ص٦ .

الجنين (١) ذكراً كان أم أنثى يوحى بإعطاء أهمية خاصة للمرأة المصرية القديمة أثناء مرحلة الحمل .

وما أن يحين موعد الولادة حتى يبدأ نوع آخر من الحرص على تسهيل عملية الولادة مثل تلاوة الأدعية لسلامة الحامل ، واللجوء إلى القابلات المتخصصات والاستعانة بكرسى الولادة (٢) ، بالإضافة إلى استخدام بعض العقاقير فى حالة الولادة العسرة . وعندما تتم عملية الولادة ، تظهر مشاعر الأسرة نحو نوع المولود . وقد درج المصريون القدماء على الفرح إذا بشروا بالولد بعكس البنت . وربما كان تفضيل الذكر على الأنثى يرجع إلى تكوين المجتمع المصرى القديم ، فالولد يحمل اسم أبيه ويساعده على عمله بالحقل فى حياته ، ويتولى دفنه ، ويؤدى له الطقوس الجنزية بعد مماته . ومما يشير إلى الرغبة الشديدة فى إنجاب الذكور قصة الأمير الموعود (٣) «حدث ذات مرة أن ملكاً لم ينجب ولداً فتضرع للآلهة أن ينجب ابناً، ...فوضعت(زوجته)ولداً...». وعلى الرغم من تفضيل الذكر على الأنثى ، يرى بعض العلماء (٤) أن المصريين القدماء لم يكرهوا الأنثى ؛ بل كانوا على العكس يرحبون بمقدمها ويطلقون عليها من الألقاب ما يشير إلى فرحهم بها مثل نوب كا بمعنى «ذهبية النفس» ، وسات مريت بمعنى

---

(١) أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار ، تاريخ التربية والتعليم فى مصر ، العصر الفرعونى ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ١٢٤ .

(٢) Blackman, A.M., „Some Notes on the Story of Sinuhe and Other Egyptian Texts" —(in) JEA, London, 1936, pp. 42—43; Faulkner, R.O., „Brief Communications Kégemni Once Again", — (in) JEA, London, 1951, p. 114.

(٣) أدولف إرمان وهرمان رانكة ، مصر والحياة المصرية فى العصور القديمة ، ترجمه وراجعه عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال ، القاهرة ١٩٥٣ ، ص ٤١٨ .

(٤) عبد العزيز صالح ، التربية والتعليم فى مصر القديمة ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص١٧ .

«الإبنة الحبيبة» . ولقد بلغ من اهتمام المصريين القدماء بالطفل حرصهم على محاولة التعرف على مستقبله والتنبؤ بحظة فكانوا من أجل ذلك يلجأون إلى استشارة مجموعة من المعبودات عرفت باسم (الحتحورات السبع) بغرض التنبؤ بمصير المولود ، بل وبنوع الموت المقدر له . ويستدل من قصة الأمير الموعود على ذلك الاتجاه «... وعندما اجتمعت الإلهات الحتحورات ليقررن حظة قلن سوف يلقى حتفه بتمساح أو ثعبان أو كلب ...» .

ومهما كان المستقبل الذى ينتظره ذلك الطفل ، فإن الأمر كان يتطلب تسمية المولود ، حيث لم يكن لدى المصريين القدماء ما نطلق عليه فى وقتنا الحاضر «اسم العائلة» . وقد اختلفت الأسماء التى أطلقها المصريون من أسماء بسيطة مثل تى Ti أو مركبة على هيئة جملة(١) مثل جد بتاح أيوف عنخ Djed-Ptah-louf-Ankh بمعنى «يقول بتاح أنه سيحيا». وفى بعض الأحيان كان الإسم يعبر عن أمنية مثل «الحلوة جاءت» ، أو كان يحمل مدلولا دينياً يعبر عن تبعية الطفل للإله مثل «خادمة رع» أو «بنت حتحور» . وكان على الوالدين أن يقوما بقيد اسم المولود فى وثائق الدولة الرسمية التى كانوا يطلقون عليها إسم سجلات (دار الحياة) (٢) .

وكان من مظاهر رعاية الطفل فى مصر القديمة ، الاهتمام بمرحلة الرضاعة. فقد أشارت النصوص المصرية القديمة إلى حرص الأم على ارضاع وليدها لفترة كانت تستغرق ثلاثة أعوام . فمن أقوال الحكيم آنى (٣) لولده خونسو حتب ، وهو ينصحه بالبر بأمه مبيناً أفضالها عليه « .. ضاعف كمية الخبز التى تقدمها لأمك ... لقد كنت عبئاً ثقيلا عليها. (ولكنها) ظلت مغلولة بك وأعطتك ثديها فى فمك مدى ثلاث سنوات باستمرار ...» . هذا وقد اختلف

---

(١) بيير مونتيه ، المرجع السابق ، ص ٧٨ .

(٢) Griffith, F., Stories of the High Priests of Memphis, Oxford, 1900, p. 19.

(٣) Wilson, J.A., The instruction of Ani (in) ANET, p. 420.

العلماء فى تفسير امتداد فترة الرضاعة لمدة ثلاث سنوات. فبينما يرى البعض(١) احتمال الشك فى تقبل هذه الفترة الطويلة نسبياً على أنها الفترة الطبيعية للرضاعة على أساس أنه كان يصعب على الأم المصرية ارتباطها برضيعها طوال هذه الفترة ، بجانب ما تتحمله من تبعات منزلية وأسرية ، يرى البعض الآخر (٢) أن الحكيم آنى ربما قصد من إظهار طول فترة الرضاعة الإشارة إلى اهتمام الأم بطفلها طوال هذه الفترة . وفى الطبقات القادرة كانت ظاهرة اتخاذ المراضع واضحة ، كما كانت لهن مكانة خاصة فى أسرة الرضيع ظهرت فى كثير من النقوش والصور (٣) .

وبانتهاء مرحلة الرضاعة ، تبدأ مرحلة يمكن أن نطلق عليها مرحلة الطفولة المبكرة والتى تمتد عادة حتى دخول المدرسة . ويكون نمو الشخصية فيها عادة سريعاً . ولم يفت المصرى القديم أن يهتم بتكوين الطفل فى تلك المرحلة بمحاولة استخدام اللعب كوسيلة من وسائل التربية ، لما فى ذلك من أثر كبير فى تنمية قدرات الأطفال . وقد قدم المصرى القديم الكثير من نماذج اللعب لأطفالهم فى هذه المرحلة مثل اللعب المتحركة بالخيوط بعضها فى هيئة أقزام راقصة ، أو عرائس مصنوعة من الخشب ، أو الفخار . ولا شك أن تلك اللعب كانت وسيلة للمتعة بجانب كونها تدريباً للمقدرة على تفهم الأشياء فى تلك المرحلة . وعندما يشب الأطفال عن الطوق ، كانوا يدخلون مرحلة اللعب الجماعى مما كان له قيمة تربوية كبيرة سواء من ناحية بناء الجسم أو العقل ، ومما أكسب هؤلاء الأطفال الكثير من المهارات والثقة بالنفس وعودهم التنافس واحترام نظام الجماعة .

وبعدئذ يمر الطفل بمرحلة جديدة عندما يبدأ استعداده فى الذهاب إلى

---

(١) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ٢٣ .

(٢) نجيب ميخائيل ابراهيم ، المرجع السابق ، ص ٧ .

(٣) Petrie, W.F., Tombs of Courtiers, London, 1925, PL. XXII.

المدرسة . ولما كانت المدرسة تعمل فى تكامل مع البيت وتكون جزءاً لا يتجزأ من مراحل النمو فى حياة الطفل ، وتساعده فى تكوين شخصيته جسمياً وعقلياً واجتماعياً ، لذلك حرص المصرى القديم على إرسال أبنائه إلى المدرسة . ومن ناحية أخرى ، كانت الظروف الاجتماعية السائدة آنذاك ترى فى التعليم السبيل الذى يمهد للدخول فى مناصب الدولة . ولهذا شجع الآباء أبنائهم فى طلب العلم . وقد أشارت نصوص دواوف (١) بن خيتى وهو ينصح ابنه المسمى بى عندما أرسله إلى المدرسة بأن «... يضع قلبه وراء الكتب ، وأن يحبها كما يحب أمه ، لأنه ما من شىء يعلو على الكتب...» وكان التلميذ عادة يؤخذ بالشدة والحزم . حيث تفاوت العقاب ما بين التوبيخ إلى الضرب إلى التذنيب لمن أهمل الدرس ، كما أشارت إلى ذلك نصائح دواوف «... لا تقض يوماً واحداً دون عمل وإلا فسيكون الضرب نصيبك فإن أذنى الصغير موضوعه على ظهره وهو يسمع ويطيع عندما يضرب...» .

وإلى جانب الدور الهام الذى كانت تشارك به المدرسة البيت فى تنشئة الطفل المصرى القديم ، فإن تربية النشء كانت تتطلب فى الواقع تعليمه فلسفة الحياة العملية وآداب السلوك والمعاملة . ومن أجل هذا زخر الأدب المصرى القديم بالكثير من نصائح الحكماء التى تضمنت اتجاه المصريين إلى تنشئة أبنائهم على أخلاق وصفات فاضلة ومنها الصدق والأمانة والتحدث عن الخبرة والدراية والتأمل ، والبعد عن الثرثرة ، وتحاشى الغضب أثناء الكلام . وتشير نصائح بتاح حوتب (٢) إلى الكثير من تلك الحكم ومنها تحذير الأبناء من غرور العلم «... لايداخلك الغرور بسبب علمك ولا تتعال

---

(١) أدولف إرمان وهرمان رانكة ، المرجع السابق ، ص ص ٣٥٣ ، ٣٥٦ .

(٢) Wilson, J.A., Proverbs and Precepts, „The Instruction of the Vizier Ptah-Hotep", — (in) ANET, pp. 412–414.

لأنك رجل عالم . استشر الجاهل كما تستشير العالم ...» . وفى التمسك بالحق تشير تلك الحكم «... ما أعظم الحق ، فإن قيمته خالدة ، ... انه (الحق) مثل الطريق السوى أمام الضال . ولم يحدث أبداً أن عرف عن عمل السوء أنه أوصل صاحبه سالماً إلى مأمنه ..» كما عنيت تلك النصائح كذلك بآداب المائدة« ... إذا كنت مدعوا إلى مائدة من هو أعظم منك ، فخذ ما يعطيه لك ، ولا تسدد نظرات كثيرة اليه ... غض من طرفك حتى يحييك ، ولا تتكلم حتى يخاطبك. اضحك بعد أن يضحك ، فإن ذلك يدخل السرور على قلبه ...» وعن احترام الإبن لأبيه ، تقول النصائح«... ما أجمل أن يصغى الابن عندما يتكلم والده ! فسيطول عمره من جراء ذلك . إن من يسمع يظل محبوباً من الإله (ولكن) الذى لايسمع مكروه من الآلهة ...» .

أما تعاليم أبو كاجمنى (١) Kagemni لولده فيشير إلى العمل فى صمت والإقلال من الكلام « ... دع اسمك يعلو ، وفمك صامت ، فسوف تستدعى إلى المراكز العليا ...» .

وبالنسبة لنصائح الملك خيتى لابنه مرى كارع (٢) فيشير إلى اتباع اللياقة فى الحديث مع الآخرين«... كن لبقاً فى الحديث ... لأن اللسان ... (؟) كالسيف(؟) ...» . والحث على عمل الخير« ... هدئ من روع الباكى ... لا تقتل رجلا إذا كنت تعرف جميل مزاياه ، كنت تقرأ معه الكتابات(؟) ...»

وتتناول نصائح أمنمحات الأول (٣) تحذيراً لابنه سنوسرت الأول

---

(١) Gardiner, A.H., "The Instruction Addressed to Kagemni and his Brethren", — (in) JEA, Vol. 32, London, 1946, p. 73.

(٢) Gardiner, A.H., New Literary Works from Ancient Egypt, pap. Petersburg 1116A, recto "The Instruction for King Mery-Ka-Re", — (in) JEA, Vol. 1, London, 1914, p. 26.

(٣) Wilson, J.A., Egyptian Instructions, "The Instruction of King Amen Em. Het", — (in) ANET, p. 418.

ممن يخونون العهد ويقابلون الإحسان بالإساءة» ... لا تثق فى أخيك، ولا تعرف لك صاحباً... (حتى) عندما تنام ، اجعل من نفسك حارساً على نفسك...» .

أما نصائح أمنموبى(١) لولده فكانت تحثه على عدم مصاحبة الأحمق ، وعدم الاندفاع والتروى قبل الكلام « ... لا تتخذ الرجل الحاد الطبع لك صاحباً ،

ولا تزره لتحادثه

وامنع لسانك من مقاطعة رئيسك ...» .

وعلى ذلك فى الإمكان القول بأن أساس تنشئة الطفل كان هو التربية المنزلية ودور الوالدين الواضح فى تشجيع أبنائهم على التعليم وتنشئتهم على محاسن الأخلاق . وإزاء هذا كان الأبناء يحملون لآبائهم هذا الصنيع ويحترمونهم ، وليس أدل على ذلك من نصيحة يوجهها أحد كبار الكهنة حيث يقول «... منذ درجت من حجر أمى ... كنت أدخل وأخرج وأروح وأغدو بأمر (أبى) وعلى ضوء من هديه ، لم أخالفه قط ، ولم أهمل واجباً كلفنى به ، ... وكان يثنى على من أجل ذلك (٢) ...»

ويتضح مما سبقت الإشارة إليه أن الطفولة فى نظر المصريين القدماء كانت بلاشك المرحلة الصالحة للتعليم والتلقين إذ تترسم خلالها فى ذهنه وأحاسيسه المبادئ والقيم التى يجب أن يتمسك بها وتلك التى يجب أن يعرض عنها . وعلى ذلك فيمكن القول بأن الإنسان المصرى القديم لم ينس أن يتفهم الدعائم الأساسية فى تنشئة أطفاله وأن يركز على الاهتمام بمراحل الطفولة المبكرة التى يتكيف فيها الطفل بالبيئة والمجتمع تكيفاً قوياً يستمر أثره طوال حياته .

---

(١) Griffith, F., „The Teaching of Amenophis the son of Kanakht. Papyrus B.M. 10474, " (in) JEA, Vol. XII, London ,1926, p. 208.

(٢) أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار ، المرجع السابق ، ص ٢٢١.